قاطعين خط مواصلات العدو وصار ممكننا الآن ترك خليج (تانن) بدون خوف أو انزعاج وعاملين كل الترتيبات اللازمة للهجوم العام على بورت ارثور وان انتصارنا فى (نانشان) كان حادثا عظيما فى تواريخ الحروبات وهـذا النجاح الباهر لم يكتسب بقوة البارود والمدفع ولكن فى الحقيقة بسالة وثبات رجالنا إذ فى أثناء القتال عند عدم نجاح الهجوم الثالث صرخ القائد (أوكو) بصوت كالرعد : أين ياماتو داماشى ؟ (روح اليابان) وعلى ذلك اكتسب جميع الجيش قوة جديدة وأخذ نفساطويلا ثم استولى على الموقع عنوة بالهجوم ولقد قال السير كلود مكدونلد (سفير انكلترا الحالى فى اليابان) « أن سر نجاح جيش اليابان الدائمى فى هذا الحرب كان للرجال دون البنادق وموقعة (نانشان) هذه كانت برهانا لهذا النوع »

الفصل التاسع

الحفر والاستكشاف

كان يوم ٢٨ مايو هو الذى توجهنا فيه الى (شانجشياتونج) للحلول محل الفرقة الثالثة المدافعة ولقد افترقت فرقتنا بعـد (نانشان) من الجيش اليابانى الذى كان تحت إمرة القائد (أوكو) و لحقت بالجيش الثالث المنظم حديثا لمحاصرة بورت ارثور وبو آن المسير بين (ينشيانون) و(شانجشياتون) كان غير بعيد الا أننى كلما كنت أفكر شيئا بخصوص السير لا أزال أتذكر هذه المرة بالخصوص فالارض التى حول بورت ارثور مكسوة بالاحجار

والحصا وجميع المحلات الاخرى يشبه الجزيرة مكسوة بالاتربة الناعمة التي تشبه نخاله الارز أو الرمادى وكانت تملأ الفم والعيون والانف وكانت الرياح السريعة تحرك الى الاعلى غيوما من التراب تملأ الخلق وتهدد بأن تبتلع خط الجنود المتعرج الطويل الذى يشبه الثعبان وفى الغالب كان لا يمكننا أن نرى شيئا أمامنا على بعد متر واذا كان خط رجالنا فى خطر القضم والارز المطبوخ الموجود داخل علب ا كلنا كان مملوءا بالتراب وفى مرات أخرى كنا نمشى من خمسة وعشرين الى خمسين ميلا بدون استراحة ليلا ونهاراً وأحيانا كنا نمشى سيرا متواصلا بدون قطرة ماء شرب أو نمشى فى ظلام حالك ولكن كل هذا لم يكن شيئا مذكوراً بالنسبة لمتاعب السير المغطى بالاتربة فاذا كان ذلك هو ثمن الشرف للاشتراك فى الحرب فقد دفعناه ولما كنا نفكر أننا مستعدون لمقابلة السونكيات والرصاص وجدنا أنه من العذاب المحاربة مع الطبيعة نفسها عابرين الفلوات ومتسلقين الجبال ومقاومين الامطار والرياح والحر والبرد نائمين على فراش من حشيش ولكن بعد قليل ابتدأت أن تؤثر علينا حتى نسير مع الطبيعة

وقد تعلمنا أن نسير بالنوم فى غيطان متسعة من الارز أوفي قصر مبنى بالصخور ناظرين الى القمر سامعين من فراشنا ترنم الحشرات وبعد مسيرنا بدون استراحة أو وقوف وصلنا الى (شانجشباتونج) واخذنا موقع الفرقة الثالثة وعندما قابلنا هذه الرجال اول مرة شعرنا بخجلنا وأردنا أن نتسلل بعيدا عن مرآهم اذ أنهم كانوا يظهرون فى اعيننا متوجين بالفخر لاتمام عملهم العظيم فى (نانشان) وكنا فى ذلك الوقت كالفلاحين الذين لم يلحقوا القطار فيقفوا

باهتين لينظروا الى خط الدخان وأفواههم مفتوحة وهم فى حالة قنوط وقد حسدناهم عند مارأينا ملابسهم مقطعة وملطخة بالدماء وعلى أجسامهم جروحات شرف جديدة وكنا ننظر اليهم بعيون حب واحترام معجبين بقبعاتهم المغطاة بالتراب وتزالكهم (رباط يلف حول الساق) الملطخة بالدماء وكان كل من هيئتهم وسلوكهم يخبر عن أعمالهم الجليلة

وكان في وسط خط دفاعنا الايمن تل مقابل لجهة العدو وكان طول خطنا خمسة وعشرين كيلومترا من (انتزوشان) فى طرف الى (تازوشان) فى طرف آخر مع مضيق (مَاوُتُوتزُو) فى الوسط وكان آلاينا محتلا خطا بينهما وفى شمال هذا المضيق بالتمام توجد قرية (ليشياتون) وكان آلاينا يحتل خطا واصلا من هذه القرية فى يمينها الى قرية بوشياتون فى جانب النهر الآخر الذى توجد خلفه سلسلة تلول وهناك انشئت استحكامات قوية واجتهدنا فى البحث عن العدو مستعدين فى آن واحد للمدافعة والهجوم وفى هذه الاثناء نزل الى البر القائد (نوجى) (بطل بورت ارثور الشهير) مع اركان حربه فى (بنتاؤو) ووصلوا الى (ياؤوتسو) وهي قرية على بعد ٧ أميال تقريبا فى الشمال الغربى من (دالنى) وعند حضوره تم تنظيم الجيش الثالث وكان شوقنا حينئذ تضاعف للمحاربة منتظرين أول فرصة ولو ان العدو انهزم فى (تانشان) الا انه كان غير راض عن تسليم (دالنى) ولما أجبروا على اخلائها تركوها ناجين بارواحهم هم وزوجاتهم وأولادهم الى قاع الجراب (بورت ارثور) حارقين كل قرية فى طريقهم . ولقد انشأوا خط استحكامات قويا موصلا التلول (يانتون) و (لوآنيشياو) و (وَاينو) (وشوانجتنج) أما المسافة

بين الروسيين واليابانيين فكانت من ٣ الى ٥ آلاف متر ولذا تحققنا كثيراً من حالة موقع العدو بواسطة عمل جماعات الاستكشاف الشاق

وعند ما وجدنا فى خط المدافعة ابتدأنا فى الحال من أول يوم بالشغل بالفؤوس وقد خصص لكل قسم من السوارى وبلوك من البيادة محل وكانت كل جماعة من الجنود تشتغل فى حفر خنادق فى محلها ليلا ونهاراً لعمل المناوشات وكان الضباط ملاحظين والصف ضباط مقدمين وكانت جماعات من الضباط والصف ضباط ترسل على الدوام لاستكشاف حركة العدو ولما لم يأت انذار بأي خطر كانت الاشغال الهندسية تزداد كل يوم فكانت خنادق النيران وسواتر اعلى الرأس ضد مقذوفات الطوبجية التى تكون الخط الاول للمدافعة تزداد باستمرار والمتاريس الصدرية تفوت باكياس الرمل التى جلبت من (دالنى) ووضعت امامها عراقيل سلوك بسيطة وعملت طرق وفتوحات صغيرة لعمل مواصلات بين اقسام الجنود المختلفة التى كانت منتشرة كنسيج العنكبوت وبهذه الكيفية كانت استحكاماتنا اخذت شكل نصف دوية وكانت الجنود تستعمل مساكن القرية أو تنصب خياما فى رحبات البيوت أو تحت الاشجار ولما انتهت تقريبا جميع هذه التجهيزات ابتدأت تخرج جماعات الكشافة لمعرفة حركات العدو ومواقعه

ان الجنود تكون مستريحة ومنشرحة فى الاستعراضات العسكرية أو المناورات في وقت السلم ولكنهم فى ساحة القتال الحقيقية يمضون حياة موتا حقيقيين بمسابقتهم مع العدو وعلى استعداد واستقامة الجنود عند وجودهم فى القره قولات الخارجية يتوقف النجاح فى المعارك الحقيقية وعليه فالجنود

الذين فى خط المدافعة لا يمكنهم أن يناموا بهدو فى الليل حتى ولا يشعلوا نارا للدفء اذ ان الليل هو الوقت الذى يلزم أن يكونوا فيه على حذر ساهرين كله أما الداوريات وخط القره قولات والكشافة الموجودون على بعد يجب عليهم أن يسعوا فى جلب أى استعلام للداخل وعلى كل حال مهما كان تعبهم فلا يجب عليهم أن يسمحوا حتى ولا لاى حشرة مخيفة أو عصفور طائر بأن يمرون أن يروه ويلزم أن يستعملوا نظرهم وسمعهم لاجل المحافظة على جميع الجيش الذى خلفهم بكل احتراس مع كتم نفسهم بدون نهور أو تهوس وعاده انه عندما تتكلم الناس عن الحرب تنسى تعب ومسئولية رجال القره قولات الامامية بل يتكلمون فقط على سلوكهم فى ميدان القتال فليعلموا أن بسبب اهمال هذا الواجب قتلت ثلاث اورط بياده فى حرب استقلال امريكا سنة ١٧٧٧ وكان ناشئا عن غلطة ديده بان واحد

ولنرجع لحديثنا الاول فنقول ـ كان يسمع صوت صراخ الديده بان قف ا قف من هناك ؟ الذى يزيد على وحشة وحدة الليل وفى الحال تسمع طلقة أو طلقتان فى هذا الظلام الحالك اذ من المحتمل أنه قد رأى داورية العدو

ثم ظهرت قطعة سحاب سوداء من الشمال وانتشرت بسرعة وغطت جميع السماء بلون حبرى وابتدأ المطر بعد ذلك نقطة نقطة واعمال الداوريات والطوافة المستيقظين جداً للعدو استمرت نحو الثلاثين يوما وكان فى ذاك الوقت خطنا الدفاعى فى نظام تام وابتدأ العدو يظهر رأسه اذ كان يسمع فى كل ليلة طلقات البنادق بالقرب من خط الداوريات

وكانت التقارير عن العدو ترسل من الكشافة ليلا ونهاراً كالآتية :

« يوزباشى - خمسة أو ستة من بيادة العدو ظهروا ثم اختفوا فى الحال فى وادى على بعد خمسمائة أو ستمائة متر فى الامام » - وبعد قليل ابتدأنا نجرب الحيل المختلفة لضبط كشافة العدو بواسطة داوريتنا واحداها كانت أن يمد حبل طوله ٢٠ مترا بعيدا من خطنا وفى هذا الحبل يربط حبل آخر أحد طرفيه واصل للمكان الذى فيه داوريتنا والفكرة أنه اذا مشى العدو على الحبل الاول فالقطعة الثانية توصل الاهتزاز الى الديده بان ولقد هرولت الجنود مرة عند ما وصلت الاشارة للقبض على العدو ولكنهم لم يجدوا الا كلبا أسود ينبح ويريد أن يهجم عليهم

الفصل العاشر

أول اسرى

كان عدد كشافنا يزداد ليس فقط من جنود الخط الاول ولكن من الامداد الموجود بالخلف ايضا وكانت ترسل جماعات الكشافة واحدة بعد الاخرى وكان الجميع ناجحين دائما فانهم إما كانوا يتقابلون مع قسم صغير من العدو ويفرقون شمله أو يرجعون ويخبرون عن محل وجود قوة أكثر منهم عدداً وكان قومندان اللواء أو الآلاى يقابل كل نجاح من هذا القبيل بترحاب اذ لم يتصادم لذلك الحين مع العدو الذى كنا مشتاقين جميعا لان نرسل كشافة حتى يكون لنا حظ فى تجاربنا معه وانى أتذكر تماما ان